

الأستاذة: نعيمة سعدية

كلية الآداب و اللغات

جامعة محمد خيضر -بسكرة

التفكير الأسلوبي في الموروث العربي:

الملخص 01:

الأسلوبية فرع ألسني جديد، يبحث من خلال جميع أبحاثه و دراساته إلى إيجاد مبررات فلسفية لموضوعه " الأسلوب" بجميع آلياته وتقنياته الإجرائية و الجمالية، و رؤيا تطبيقها على النص الأدبي الذي يتوسل الأسلوب في ظل فاعليته الإنتاجية .

و تسعى هذه الدراسة إلى تتبع جهود بلاغية للمفكرين القدامى عبر آرائهم الاستشرافية، التي وجدناها تقترب بشكل أو بآخر من بعض ملامح الدرس الأسلوبي المعاصر.

Résume02 :

Le Stylistique est un nouveau branche linguistique .c'est la science qui étudie le (style) avec toutes leurs catégories.

Elle fait recherché a bien détermine toutes ces mécanismes. Et voir ses exerce sur le texte dans cette dynamique production.

Cette étude vise à mettre à suivre d' études les anciens à savoir(EL JORJANI –Amedi ..) Qui proches d'une façon ou d'une autre au nouveau leçon **Stylistique. et d'approcher le style.**

التفكير الأسلوبي في الموروث العربي:

1- في مفهوم الأسلوبية:

يعرف "شارل بالي" الأسلوبية؛ بأنها " دراسة قضايا التعبير عن قضايا الإحساس وتبادل التأثير بين هذا الأخير والكلام..والأسلوبية كفرع من اللسانيات العامة تتمثل في جرد الإمكانيات والطاقات التعبيرية للغة بالمفهوم السوسيري"¹

إنها الوجه الجمالي للألسنة ، تبحث في الخصائص التعبيرية و الشعرية التي يتوسلها الخطاب الأدبي ، و ترتدي – بذلك – طابعا علميا تقريريا في وصفها للوقائع و تصنيفها بشكل موضوعي و منهجي. و يقول جوزيف مشال شريم : " الأسلوبية هي تحليل لغوي موضوعه الأسلوب و شرطه الموضوعية، و ركيزته الألسنية " ²؛

و مارشال كروسو – أحد تلامذة بالي – حول الجانب الوجداني للغة إلى المفهوم الجمالي و من هذه الزاوية أسس علاقة تكاملية مع البلاغة و النقد ، تبعه في الإطار لنفسه بيار غيرو (Pierre Geauraid) الذي شدد على ازدواجية وظيفية بين المدى الأسلوبي و التفكير البلاغي، و كلاهما يتقاطعان فوق مساحة التركيب و الكلام و النص الأدبي (3) .

و عليه، تعني الأسلوبية بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنوية لانتظام جهاز اللغة، و تسعى إلى تحديد الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب من سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية، و هنا تطرح الأسلوبية تساؤلا علميا عن الذي يجعل الخطاب الأدبي الفني مزدوج الوظيفة والغاية، و يؤدي ما يؤديه الكلام عادة ، و هو إبلاغ الرسالة الدلالية و سيطر مع ذلك على المتقبل تأثيرا ضاغطا به ينفعل للرسالة المبلغة انفعالا ما، أيا كان

نوع هذا الانفعال، فعلى الملتقي، إزاء كلام ما أن يبدي ردة فعل تبرز تأثره بذلك الأسلوب في الكلام .

وعن تلقي المصطلح في الدرس اللساني العربي وحتى النقدي؛ فيؤثر الدكتور "سعد عبد العزيز مصلوح" ترجمة المصطلح إلى الأسلوبيات؛ لأنها الأطوع في التصريف و سيرا على سنة السلف ، ويميل صلاح فضل إلى "علم الأسلوب" ويراه جزء من علم اللغة. وأما مصطلح "الأسلوبية" في العربية، فقد عمل على ترويجه الدارس "عبد السلام المسدي" وهو عنده مقابل لمصطلح (Stylistique) بالفرنسية و (Stylistics) بالإنجليزية وتبعه – في ذلك – محمد عزام ، منذر عياشي، عدنان بن ذريل ، عزه أغا ملك ، فتح الله أحمد سليمان وغيرهم، وعلى الرغم من الاختلاف، إلى أنها مصطلحات تشير كلها – بالمصطلح – إلى الدرس العلمي للأسلوب الأدبي.

2- تعريفات للأسلوب:

كلمة الأسلوب (style) مأخوذة من الكلمة اللاتينية (stylus)، و تعني قضيباً من الحديد ، كان القدماء يكتبون به على ألواح الشمع (4) .

و في العربية " الأسلوب " كلمة مجاز مأخوذ من معنى الطريق الممتد أو السطر من التخييل ، جاء في " لسان العرب " " و يقال للسطر من التخييل : أسلوب ، و كل طريق ممتد فهو الأسلوب والأسلوب الطريق ،والوجه والمذهب ، و يجمع أساليب و الأسلوب (بالضم) الفن ، يقال أخذ فلان في أساليب من القول ، أي أفانين منه " (5) .

فجوزيف مشال شريم يرى " الأسلوب طريقة دمج العطاء الفردي في عملية مجموعة تظهر في كل أشكال الممارسة و بربطه مع عملية الخلق اللغوي يصبح " الأسلوب هو طريقة دمج العطاء الفردي في عمل البناء اللغوي مهما كانت طبيعة الأهداف " (6) .

و قد ذهب شارل بالي إلى التمييز بين الأسلوب و الأسلوبية ، لإحساسه العميق باحتمال الخلط بين المفهومين؛ فحصر مدلول الأسلوب في تفجر الطاقات التعبيرية الكامنه في صميم اللغة بخروجها من عالمها الإفتراضي إلى حيز الموجود اللغوي ". فالأسلوب هو " الاستعمال ذاته ، فكأن اللغة مجموعة شحنات معزولة و الأسلوب هو إدخال بعضها في تفاعل مع البعض الآخر كما في مخبر كيميائي"⁽⁷⁾. فتكون الأسلوبية علما يرمي إلى إقامة ثبت لجملة الطاقات التعبيرية الموجودة في اللغة بالقوة .

و يقول بوفون (1788) : إن المعارف و الوقائع و الكشوف يسهل نقلها و تعديلها ، بل تكتب فريدا من الثراء إذا تناولتها أيد أكثر خبرة ، فهذه الأشياء خارجة عن الإنسان ، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه ، فالأسلوب لا يمكن أخذه و لا نقله و لا تعديله ، و هذا التعريف يعني أكثر من أن الأسلوب سمة شخصية في إستعمال اللغة لا يمكن تكرارها ، و لكن توالت تعريفات أخرى له : أهمها " الأسلوب هو الرجل " ⁽⁸⁾ ، لتعني أكثر من هذا ؛ فتعتبر الأسلوب هو "لمح التفكير"، بل هو مرآة الشخصية، أو أعرق ما في الشخصية و أجدرها بالاهتمام . وكما يقول جاكوب ماكس (Max jakoub) " إن جوهر الإنسان كامن في لغته حساسيته" ⁽⁹⁾ .

وعن هذا التضارب والاختلاف في ضبط مفهوم لهذه الكلمة يقول جون مدلتون مري في كتابة "مشكلة الأسلوب": "إن كلمة الأسلوب تعني أشياء كثيرة ولكن كلما كانت هذه الأشياء أكثر تحديد، أي كلما كانت صالحة لأن يشار إليها بالأصبع، كانت أبعد عن المعنى المركزي الكامن في الكلمة، وهو التعبير اللازم و العضوي عن حالة فردية للتجربة، تعبيرا يعلوا و يهبط في سلم الكمال المطلق حتى عندما تتحقق هذه العلاقة المطابقة تبعا لحالة التجربة المعبر عنها ، من حيث درجة قيمتها و امتدادها، أي من حيث درجة شمولها

و مناسبتها لكل عالما الإنساني و هذا المعنى لكلمة أسلوب تتضاءل بجانبه المعاني الأخرى إلى درجة تقرب من التفاهة (10).

وتجدر الإشارة إلى أن صعوبة تحديد الأسلوب كامنة كذلك في جوهر الأسلوب و معناه ، فهو مما يسهل الشعور بوجوده و بتأثيره في النفس و يصعب رغم ذلك ضبطه و التعريف به ، و قد شعر العرب قديما بهذه الصعوبة و عبروا عنها ، في إطار حديثهم عن علم الفصاحة و تمييز بعض الكلام عن بعض . يقول الجرجاني: "والبلاء والداء العياء، إن هذا الإحساس قليل في الناس ، حتى إنه ليكون أن يقع للرجل الشيء من هذه الفروق والوجوه في الشعر بقوله أو رسالة يكتبها الموقع الحسن، ثم لا يعلم أنه قد أحسن ، فأما الجعل بمكان الإساءة فلا تعدمه ، فلست تملك إذا من أمرك شيئا حتى تطفر بمن له طبع إذا قدحته وري ، وقلب إذا أريته رأى" (11) ؛ فالمتكلم لا يستطيع أن يفهم سامعه بكل أفكاره لمن شاء و من شاء ، فذلك أصعب ما يكون ، في نظر الجرجاني؛ لأن الأسلوب ظاهرة لا تتمهج أي أنه لا يخضع لقانون التطور الطبيعي بقدر ما يتوافق و ظاهرة الطفرة الغامضة لأسباب و التي تغير من شكل الجغرافيا أكثر مما يغيره قانون التطور الطبيعي لأن صعوبة إدراك الأسلوب تتمثل في البحث عن العراقة الجامعة بين الأشكال اللغوية في النص و بين وظيفتها الشعرية و الأدبية الجمالية أي هي إدراك ذلك التحول الكيميائي العجيب الذي يحول الدوال اللغوية المادية في النص إلى دوال جمالية عاطفية في محاولة تحليل ما نشعر به من الجمال و غيره من الأحاسيس التي تسربت في أسلوبه في لغته ، في تراكيبه و صورته البلاغية ووظيفة الأسلوبية تتمثل في إقامة الدليل عن ذلك الجمال .

ويحاول الدارس "منذر عياشي" وضعه تحت مجهر الملاحظة وخصّصه بتعريف قائلا : " الأسلوب حدث يمكن ملاحظته : إنه لسانی، لأن اللغة أداة

بيانه، و هو نفسي لأن الأثر غاية حدوثه، وهو اجتماعي لأن الآخر ضرورة وجوه⁽¹²⁾.

وعلى هذا الأساس تصبح رؤية الأسلوب عملية معقدة مغلقة في التشابك ، والجهد فيها مطلوب لما يورثه هذا الأسلوب من متعة ، و هذه العملية هي إنتاج مشترك في زمنين متتاليين بتعاقب فيهما مبدع خلاق و قارئ منقّف، فكل مبدع يعبر عن ذاته ، و لا يكتب لها ، و إبداعه هذا نابع من نفسه ، و ليس موجها لها ، و من هنا كانت حتمية وجود مثلق يستقبل النص (الأسلوب ، ودوره لا يقل أهمية عن دور مبدعه، وحيث أن لا وجود لنص بدون مبدع ، كذلك لا وجود لمقرئيه النص واستمراره - جيلا بعد جيل - دون قارئ؛ فهو الفيصل في الرفض و القبول.

وعن القارئ والأسلوب يقول ريفاتير: "الأسلوب هو إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام ، وحمل القارئ على الانتباه إليها ، بحيث إذا غفل عنها شوه النص ، و إذا حللها وجد لها دلالات متميزة و خاصة"⁽¹³⁾؛ والمحلل الأسلوبي - إزاء هذا القول - لا يجب عليه الانطلاق من النص مباشرة بل من الأحكام التي يبديها القارئ حوله ، لأنه المصدر للاستقرار الأسلوبي، وما يصدر منه من ردود فعل حول أسلوب معين هي بمثابة استجابات لمنبهات نصية.

3- الأسلوب في الموروث العربي:

والملاحظ في مساهمة العرب القدامى في الكلام عن الأسلوب، أن عبد القاهر الجرجاني، أول من استعمل هذه اللفظة استعمالا دقيقا دون أن يوليها كبير اهتمام؛ إذ إنه عرف الأسلوب بإيجاز متناهي وبكثافة مقتضبة، يقول: "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له و غرض أسلوبا ، و الأسلوب الضرب من النظم و الطريقة فيه ، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب ، فيجيء به في شعره ... " ⁽¹⁴⁾

و يزيد عن ذلك في إطار البرهنة على استحسان أسلوب معين (أي التحليل الموضوعي لأسلوب معين) قائلا: " و جملة ما أردت أن أبينه لك [في الكلام في إعجاز القرآن] أنه لا بد لكل كلام تستحسنه ، و لفظ تستجيده ، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة ، و عله معقولة ، و أن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل ، و على صحة ما ادعيناه من ذلك دليل ، و هو باب من العلم ، و إذا أنت فتحتة اطلعت منه على فوائد حليلة ، و معان شريفة ، و رأيت له أثرا في الدين عظيما ، و فائدة جسمية ، و وجدته سببا إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل ، و إصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل " 15

أما حازم القرطاجني ، فهو أول من خصص للأسلوب فصلا معتبرا إياه فنا مستقلا بذاته - في كتابه " منهاج البلغاء و سراج الأدباء " رابطا إياه بما يسمى النظم؛ فيقول: " لما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني و المقاصد ، و كانت لتلك المعاني جهات فيها توجد و مسائل منها تقنتي كجهة وصف المحبوب ... و كانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات و النقلة من بعضها إلى بعض ، و بكيفية الاطراد في المعاني صورة و هيئة تسمى الأسلوب ، و جب (جواب لها) ، أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهات غرض القول و كيفية الاطراد من أوصاف جهة إلى جهة - فكان بمنزلة النظم في الألفاظ الذي هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ و العبارات و الهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض ، و ما يعتمد فيها من ضروب الوضع و أنحاء الترتيب ؛ فالأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية ، و النظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية " 16

" إذا أحاط المتكلم بذلك كله - قوي على صوغ الكلام، وأحسن النفوذ إلى مقاصد النظم وأغراضه، والتصرف في مذاهبه و أنحائه - بقوة فكرية هائلة ، و معنى ذلك كله أن القرطاجني يجعل الأسلوب مقالا بلا منظم، والمعاني مقابلة للأفاز، وهو بذلك يحصر الأسلوب في إطار المعنى؛ باعتبار النظم عنده مصطلحا يشير إلى النظام الأفاز دون المعاني في هيئة معينة. وكما سبقت الإشارة، فقد جعل ابن منظور الأسلوب: الضرب من الفن، وهو الطريق من النخيل أو السطر من النخيل، و هو الوجه والمذهب و أفانين القول أساليبه.

أما ابن خلدون، كمحاولة لتعريف الأسلوب، فيقول: " ولندكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة - صناعة الشعر- وما يريدون بها في إطلاقهم: فاعلم أنها عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، والتي يرجع إلى الكلام بإعجاز إفادته أصل المعنى، الذي هو وظيفة الأعراب، و لا باعتبار إفادته كمال المعنى، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه، الذي هو وظيفة العروض؛ فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية؛ باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرهما في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب، باعتبار الإعراب والبيان، فيرصها فيه رصا، كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال... حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة" ¹⁷ يضعنا نص ابن خلدون أما قوانين دراسة الأسلوب أهمها:

1- أن هناك فارقاً بين الوجهين العلمي و الفني في تكوين الأسلوب الأدبي ؛ فعلوم البلاغة و النحو و العروض تفيد الدارس في وضع نظريات تساعد على تقييم الكلام ، و الوقوف به عند مدى مطابقة قوانين النظم ؛ في حين أن صناعة الأسلوب الراقي الشعري . تعود إلى الطبع و التمرس و الكلام الفصيح البليغ .

2- إن الأسلوب في الأصل، حسب رأي ابن خلدون - عبارة عن صورة ذهنية تتمالأ بها النفس، و تطبع و تصقل الذوق ، وعلى مثال هذه الصورة الذهنية تتألف العبارات (الأسلوب) .

3- هذه الصورة الذهنية ، التي هي الأصل الأول للأسلوب ، ليست معاني جزئية ، و لا جملاً مستقلة بل طريقة من طرق التعبير يسلكها المتكلم ، بطريقة انتقائية ذهنية ، يطوع فيها الاختيار اللفظي وفق قدرته اللغوية ، وتوزيعها وفق القواعد والأسس الغوية المفترضة ، و دور هذا يشبه دور البناء صاحب القالب .

4- إن لكل جنس خطابي أسلوبه الخاص، وبيانه الخاص ولغته الخاصة، التي يوجد بها على اختلاف الأنواع.

على هذا الأساس تفرقت الآراء عند العرب ، في تحديد تعريف دقيق للأسلوب، من خلال إسهامات معقدة رغم بساطتها ، حديثة رغم أصالتها؛ جعلت من الأسلوب جملة متن القوالب الجاهزة الجامدة في آراء توفيقية و الأكثر من ذلك جملة من الصور تمثل الإمكانات في التعبير مشتركة لا تختلف باختلاف الأشخاص ، بل تختلف الأغراض قام بضبطها القدامى و ألزموا بها من جاء بعدهم .

ولعله المنطلق، الذي دفع الأستاذ الطرابلسي، إلى اعتبار أن الأسلوب عند العرب مر بأربع مراحل مرتبة زمنياً كما يلي :

- مرحلة المخاض: ويمثلها البيان و التبيين (ت 225 هـ)
- مرحلة النشأة: ويمثلها دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت 377 هـ) و قد اكتملت التأليف البلاغية في هذه المرحلة)
- مرحلة النضج: وتمثلها ثلاث مصنفات:

1- منهاج البلغاء و سراج الأدياء لحازم القرطاجني (ت 684 هـ)

2- لسان العرب لابن منظور

3- المقدمة لابن خلدون (ت 808 هـ)

4-مرحلة النهضة المحتشمة: وتمثلها كتب بلاغية مدرسية-متأخرة-⁽¹⁸⁾

وأما عن زبدة القول من كل ما سبق أن جهود العرب القدامى في تعريف الأسلوب - على اختلافها - تجسدت في نقطتين هامتين :

الأولى؛النظم: و هنا نقوم بتحديد التعريف اللغوي للأسلوب؛ الرامي بجعله السطر من النخيل أو الطريق الممتد ، أو المنهج المتبع، أو المثال أو النموذج ، و من ثم هو طريقة خاصة للمتكلم في استخدام اللغة، وتحدد هوية الممارسة في سياق معين " ¹⁹ وعليه تقول أسلوب الجاحظ : أسلوب ابن المقفع ، أسلوب طه حسين ، ... الخ .

و باعتبار أن اللغة قلق إنساني و نتاج للروح ، و نظام (رموز) تحل أفكار الفرد و الجماعة ، و هذا ما جعل كورزيبوسكي (KORZYBOSKY) يقول: طريقة التفكير لدى المجتمعات ، هي التي تحدد أسلوب تراكيبهم اللغوية - ففي اللغة الانجليزية نجد تفكيراً استقرائياً (الصفة قبل الموصوف مثلًا)، وفي العربية واللغة الفرنسية تفكير استدلالي(الصفة تتبع الموصوف)²⁰ . والنظم هو التأليف والتنظيم والجودة في الكلام ليصبح حسناً مقبولاً ، أو هو معنى لطيف ولفظ شريف "، أو هو خلوص من الكلام من التعقيد و أصله من الفصيح ، و يرتبط بالفصاحة في تعليق الألفاظ المفردة التي هي لأوضاع

اللغة (المادة الخام) فكل واحد منا يمكن أن يشكل منها الأسلوب الذي ينظم تحته .

و في قوانين النحو المفردة المعيارية للتركيب، هناك دائما هامش من الحرية متاح للمتكلم (مستعمل الأسلوب) إن انتقاء الأساليب المعبرة عن الغرض والأفكار، لأن اللغة مرآة الفكر؛ و ذلك بالتدبر في إنشاء العلاقات و اختيار الأدوات التي تؤدي إلى التفاعل أحيانا، والخروج عن المؤلف أحيانا ثانية، والبراعة في الكفاءة اللغوية أحيانا ثالثة و للجاحظ و للعبد القاهر الجرجاني، وابن خلدون جهود لا يستهان بها في هذا المجال، فتوجب الوقوف عندها لتنشيط هذا المفهوم من خلال حديثهم عن البيان والتعليق ودرجات الاستعارة وتوخي معاني النحو؛ المنوال الشعري ... الخ؛ فكانت إسهامات أضافت إلى منهاج التكامل مع الأسلوب الكثير؛ كون الأسلوب " هو تأويل الشاعر لواقعه في حدود ما توجه به الأساليب بدقة استثماره من لدن الفكر، فالإشارات التي توفرها تسمح للخيال.. [كما] تسمح للوعي الصانع بالعثور على العبارة اللغوية المناسبة " ²¹ .

يقول الجرجاني : "وأما نظم الكلم ، فليس الأمر فيه كذلك ، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس؛ فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء و انفق، و كذلك كان عندهم نظيرا للنسج و التأليف والصياغة والبناء و الوشي و التحبير ، وما أشبه ذلك" ²² ؛ أي وضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو .

و زاد عليه القرطاجني: " النظم صناعة آلتها الطبع، و الطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام ، و البصيرة بالمذاهب و الأغراض التي شأن الكلام الشعري أن ينحى به نحوها " ²³ ، من خلال علم التركيب، وهذا عينه

ما ذهب إليه المحدثون في ربط ترتيب الكلمات اختيارا وتوزيعا) أي الخضوع إلى ميكانيزمات القدرة اللغوية)؛ فتفكيرنا وكلامنا يكون وفق كفاءتنا اللغوية والأسلوب بيان الأفكار و هو ذاته النظم، اصطلاحا و مفهوما، عند العرب القدامى.

و نشير هنا إلى انطباعية سطحية تعبر عن الرضا والاستحسان الذي يمتلكهم إزاء أسلوب أحسن فيه صاحبه، أو رفض واستهجان إزاء نقيضه، فنجد في كتبهم البلاغية نعوتا وصف بها الأسلوب في نص معين، بين الحالتين؛ فكان جميلا رائعا جزلا معبرا، أو قبيحا ضعيفا ركيكا كاذبا. يقول الجرجاني: "أعلم أنك لن ترى عجباً أعجب من الذي عليه الناس في أمر النظم ، و ذلك أنه ما من أحد له أدنى معرفة إلا و هو يعلم أن هاهنا نظما أحسن من نظم، ثم تراهم إذا أنت أردت أن تبصرهم ذلك تسدر أعينهم، و تضل عنهم أفهامهم؛ وسبب ذلك أنهم أول شيء عدموا العلم به نفسه ، من حيث حسبه شيئا غير توخي معاني النحو ، و جعلوه يكون في الألفاظ دون المعاني؛ فأنت تلقى الجهد حتى تميلهم عن رأيهم ، لأنك تعالج مرضا مزمننا وداء متمكنا " (24)

والثانية؛ عمود الشعر: في حقيقته عبارة عن جملة من الظواهر الأسلوبية تتعلق بشكل الشعر ولغته ومضمونه، وعليه يعني الأسس الجمالية والفنية للشعر - لغة ومضمونا- وفق مبادئ الصياغة والجمال؛ فالواجب في هذه الحال أن نتبين ما هم عمود الشعر العربي عند العرب: يتميز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث²⁵ .

ويعد الأمدي (370) أول من حام حول ما أسماه "عمود الشعر" في كتابه " الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري" وحدده بالصفات السلبية(الإسراف في

البديع ، السرقات الشعرية ، المغالاة ، إعمال الذهن في صفة الشعر ، سوء
النظم ، استكمال حوشي الكلام ، تعقيد اللفظ الخ
فقد كان الأمدي يعيب كل هذه الأمور وغيرها، إن وجد لها مكانا في شعر
الشاعرين (أبي تمام، البحتري) جاء - بعده - القاضي عبد العزيز الجرجاني
(392 هـ) في كتابه "الوساطة بين المتنبى وخصومه"؛ ليتناول الأمور التي
سبق، وأن وضع الأمدي يده عليها بالملاحظة وإبداء الرأي، لكن بصورتها
الإيجابية الأولية ، وعليه يكون عمودا الشعر، عنده ، ذا أركان محددة هي:

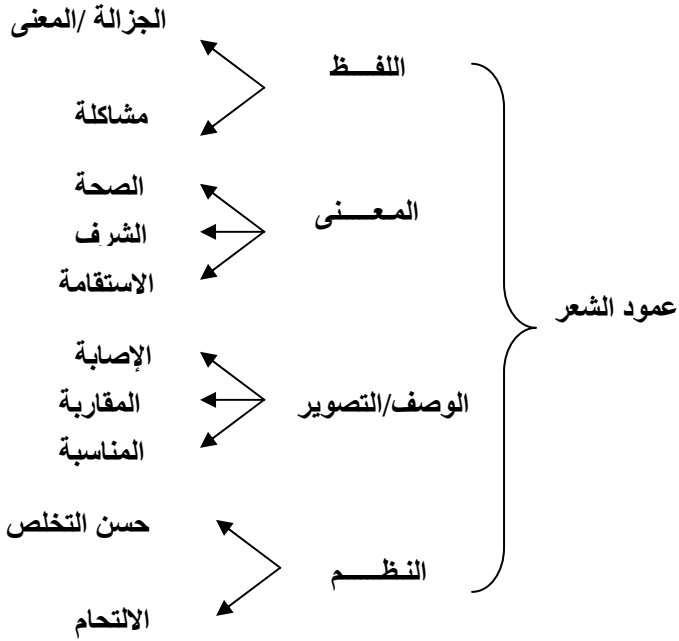
- 1- شرف المعنى و صحته .
- 2- جزالة اللفظ و استقامته .
- 3- الإصابة في الوصف .
- 4- المقاربة في التشبيه .
- 5- الغزارة في البديهة

6- كثرة الأمثال السائرة و الآليات الشاردة

و قد استفاد المرزوقي (ت 421 هـ) من الجرجاني في الأركان
الأربعة الأولى ، و استغنى عن العنصرين الآخرين و أضاف ثلاثة ، جاعلا
لكل واحدة عبارة ، فيكون عمود الشعر على هذه الشاكلة :

- 1- شرف المعنى و صحته ، عياره : العقل الصحيح و الفهم الثاقب
- 2- جزالة اللفظ و استقامته . عياره : الطبع و الرواية مع الاستعمال
- 3- الإصابة في الوصف . عياره الذكاء و حسن التمييز
- 4- المقاربة في التشبيه . عياره : اللفظة و حسن التقدير .
- 5- التحام أجزاء النظم و التتمامها على تخيير لذيد الوزن، وعياره: الطبع
- 6- مناسبة المستعار منه للمستعار له، عبارة: الذهن و الفطنة .

7-مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما، عياره: طول الدربة ودوام الممارسة، وقد عبر عنه بالنسج عن المنوال و القافية في كل هذا "الموعد المنتظر" فكانت بذلك صياغة المرزوقي لعمود الشعر خلاصة لآراء نقدية بلاغية سابقة من نحو لم يسبقه إليه أحد، ولا يمكن لأحد تجاوزه بأي حال من الأحوال . ويمكن اختصار عناصر " عمود الشعر " أسلوبيا في أربع كلمات :



وذلك باعتبارها معايير تأسست على عدم مخالفة العرض اللغوي- حقيقة ومجازا- من جهة وعلى تعميق فكرة الوحدة العضوية في القصيدة؛ لتكون متلاحمة منسجمة ومتسقة وقد تنبه لها العديد من البلاغيين والنقاد أمثال ابن طباطبا في عبارة إذ يقول " وأحسن الشعر ما ينتظم فيه القول انتظاما ما يتسق به أو له مع آخره على ما ينسقه قائله ... بل يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ

ودقة كعان وصواب تأليف ... ويكون خروج الشاعر من كل معنى لطيفا حتى تخرج القصيدة وكأنها مفرغة إفراغا، لا تتناقض في معانيها، ولا وهي في مبانيها. ولا تكلف في نسجها تقتض كل كلمة بعدها، ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرا إليها²⁶، وكذلك نوه إليها القيرواني قائلا " واستحسن أن يكون البيت بأسرة كأنه لفظة واحدة لخفته وسهولته، واللفظة كأنها حرف واحد"²⁷ وغيرها من الآراء التي نجد لها صداها في قول أرسطو: " إن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه لبعض فمتى انفصل واحد عن الآخر، وبيانه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهة تخون محاسنه، وتعفي عنه معالم الجمال"²⁸ وخلاصة القول ، أن النقاد العرب قد حاولوا في تذوقهم للشعر ، ونقده وضع أصول وقواعد أساسية يعتمدون عليها في تمييزهم بين الجيد والرديء منه ، وعليه ، يمكن القول أن عمود الشعر . كان له باغ الأثر في الشعراء والنقاد باستعانتهم به لوضع الأصول العامة للنقد، والالتجاء إليه في الحكم والموازنة .

-
- 1 - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)- تحليل الخطاب الشعري والسردى- دار هومة ، الجزائر ، 1998 ، ج1 ص 16
 - 2 - جوزيف مشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1684، ص 37-38.
 - 3- ينظر : نور الدين السد ، المرجع نفسه ج1 ص 17
 - 4 - بيار غيرو : الأسلوب والأسلوبية، ترجمة، منذر عياشي، دار الإنماء القومي ، بيروت ص 03
 - 5 - ابن منظور لسان العرب، در صادر، بيروت، ط1، 1997، المجلد الثالث، ص 314
 - 6 - جوزيف مشال شريم ، دليل الدراسات الأسلوبية، ص 39
 - 7 المرجع نفسه ، ص 85
 - 8 شكري محمد عياد ، اللغة والإبداع ،ص24.
 - 9 - بيار غيرو ، الأسلوب والأسلوبية ص 22

- 10 - شكري محمد عياد ، المرجع نفسه ، ص 24-25
- 11 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ضبط وإخراج : د/ ياسين الأيوبي . المكتبة العصرية ، بيروت ، 2002 ، ص 501
- 12 - منذر عياشي، منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري سوريا، ط1 ، 2002 ، ص.37.
- 13 - منذر عياشي ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص 38.
- 14 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 428
- 15 - الجرجاني، المرجع نفسه : ص 95
- 16 - حازم القرطاجني (أبو الحسن)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ط2 ، 1981 ط2 ص 363-364.
- 17 - ابن خلدون (عبد الرحمان ابن محمد) ، مقدمة ابن خلدون ضبط وشرح : محمد السكندري ، دار الكتاب الغربي ، بيروت ، لبنان 2005، ص 522
- 18 - ينظر: الهادي الجطلابي ، مدخل إلى الأسلوبية، ص 11-12.
- 19 - صالح بالعيد، نظرية النظم، دار هومة، الجزائر، ط1، 2001، ص156.
- 20 - ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001، ص173.
- 21 - المرجع عينه، ص148.
- 22- الجرجاني ، الدلائل ، ص 102 .
- 23 - القرطاجني ، المنهاج ، ص 199
- 24 - الجرجاني، المرجع نفسه ، ص 498 .
- 25 - مصطفى أبو كريشة، النقد الغربي التطبيقي بين القديم والحديث، لو نجان للنشر مصر، 1998، ص 129. و ينظر: محمد عزام ، الأسلوبية منهجا نقديا ، منشورات وزارة الثقافة، سوريا ، 1989 ص151-152.
- 26 - ابن طباطبا العلوي (أبو الحسن محمد بن أحمد ت322هـ) تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانع ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 ، ص 213 .
- 27 - ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن ت456هـ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق :، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1401هـ/ 1981 ، ج1 ، ص 257

28 - محمد عزام، الأسلوبية، 153 . وينظر: مصطفى أبو كريشة ، المرجع نفسه ، ص 145